المحور الأول:

نظريات ومفاهيم علم الاجتماع المخاطر.

أولا–مفاهيم أساسية في علم الاجتماع المخاطر:

1– علم اجتماع المخاطرSociologyRisk:

علم الاجتماع المخاطر هو: ذلك العلم الذي يهتم بفهم وتفسير ظاهرة المخاطرة بأسبابها ونتائجها في السياق التاريخي والمجتمعي ككل، تفسيرا سوسيولوجيا، كما أنه معنى تحديدا بدراسة المخاطر الأخطار المنبعثة من عصر الحداثة وما بعدها، أي أنه يتناول بالدراسة المخاطر التي يعرفها عالمنا اليوم وأثرها على المجتمع الإنساني، ولقد ارتبط الفهم السوسيولوجي لمجتمع المخاطر بأولريش بيك Ulrich Beckالذي أصدر كتاب بعنوان مجتمع المخاطرة وكتاب مجتمع المخاطر العالمي: بحثا عن الأمان المفقود، ولقد أشار أولريش بيك أن ما كان مبالغا فيه قبل عشرين عاما أصبح أمر ا واقعا ومحسوسا، وأضاف أيضا أن المجتمع الصناعيً بدأ بالاندثار، مفسحا المجال لمجتمع جديد تسوده الفوضى، وتغيب فيه أنماط الحياة المستقرة، ومعايير السلوك الإرشادية، وأصبحت دالات المخاطرة اليوم شديدة الآنية والأهمية في لغات التقنية والاقتصاد والعلوم الطبيعية، وكذلك في لغة السياسة، كما يبرز في هذا المجال ايضا علماء اجتماع مثل الانجليزي أنتوني غدنز Anthony Guddens والألماني نيكلاس لومانNicklas Le Mans، والفرنسي دافيد لوبروتونDavid Lubroton.

2– المخاطرةRisk:

يمكن تناول المخاطرة كحقيقة موضوعية تعتمد على التفسير والتحليل، باعتبارها فعل وأداء يتعلق بتأثيرات/احداث، أكثر منه واقعة صرفه. حيث كانت المخاطر عبارة عن أخطار عملية يعيشها افراد المجتمع المحلي والمجتمعات التقليدية عموما، أذ أن مفعول آثارها ونتائجها محدودة بالزمان والمكان. أما اليوم تطورت الى سلوكيات مقلقة ومهددة للمجتمعات وتحولت الى عابرة للأوطان والقوميات وغير محسوبة النتائج وملفتة للانتباه في الحياة اليومية غالبا ما تكون المخاطر تجربة ذات معطى سلبي يهدد التوازن السابق إذا لم يكن نتيجة الاختيار، فهي مفاجأة سيئة ينظر اليها باعتبارها تهجيدا كامنا حول الحياة الخاصة خارج كل السيطرة.

حيث يعرف بول سلوفيتشPaul Slovicالمخاطرة على أنها:" قيمة ثنائية الأبعاد تميز الحدث غير المرغوب فيه من جهة احتمال الوقوع الحدث غير المرغوب فيه، ومن جهة أخرة شدة الضرر المحتمل

كما يعرفأولريش بيك المخاطرة بأنها: التنبؤ بالكارثة أي هي إمكانية أن تطرأ احداث وتطورات مستقبلية وإذا ما تحققت تصبح إذن كارثة. فالمخاطرة حدث متنبأ بحدوثه أما الكارثة فهي حدث فعلي.

أما نيكلاس لومان فإنه: يعرف المخاطرةعلى أنها: أذى محتمل يخيف الفرد ويرتكز على قرار اتخذه بنفسه، إنها عملية حسابية تأخذ بالاعتبار الخسارة والفائدة المُحتملة بالاستناد الى الزمن.

كما يعرف أنتوني غدنز المخاطرة على أنها: تلك المجازفات التي يتم تقويمها فعليا في علاقتها بالاحتمالات المستقبلية. كما يقول إنها هي القوة الدافعة للمجتمع الذي يصر على التغير والذي يريد ان يحدد مستقبله ولا يتركه للدين او التقاليد أو لقوى الطبيعة، وهو أي جيدنز يرى أن المخاطر نوعان: مخاطر خارجية، وهي ما ارتبط بالتقاليد والطبيعة كالأوبئة والفيضانات والمجاعة والجفاف والبيئة، والتي تحدث خارج إرادة الانسان. مخاطر مصنعة (مخلقة)، هي التي يتدخل فيها الانسان بإرادته، و التي تنجم عن قصور و قلة خبرة الانسان.

يمكن تعريف المخاطر بأنها: ظرف أو وضع في العالم الواقعي يوجد فيه تعرض لوضع معاكس وبشكل أكثر تحديدا يقصد بالمخاطرة "حالة يكون فيها إمكانية أن يحدث انحراف معاكس عن النتيجة المرغوبة المتوقعة أو المأمولة .

3- الخطرThe danger:

هو ذلك الالتزام الذي يحمل في جوانبه الريبة وعدم التأكد المرفقين باحتمال وقوع النفع أو الضرر حيث يكون هذا الأخير إما تدهور أو خسارة.حيث يعتبر الخطر ظاهرة عشوائية موافقة لحالة أو مستقبل لا يمكن أن يكون مرتقبا، إلا بالاحتمالات المعاكسة للشكوك وللقين الذي يسمح بالتنبؤ".

كما يعرف الخطر على أنه: حادث احتمالي غير مؤكد الوقوع، وعند وقوعه ينتج عنه نتائج غير مرغوبة للفرد أو للمجتمع بشكل عام، وأسبابه متعددة كالسرقة والحرائق والزلازل والبراكين والفيضانات والحروب وقد يكون متعمدا أو يكون بسبب الإهمال أوغيرها من الأسباب.

كما عرف الخطر على أنه: حالة من عدم التأكد أو الشك أو الخوف من وقوع حادث معين أو ظاهرة معينه يترتب عنها أضرار جسدية أو مادية أو معنوية، ويمثل الخطر ظاهرة عامة ترتبط ارتباطا وثيقا بحياة الإنسان اليومية وما يقوم به من مختلف الأنشطة، وينبع الخطر أساسا من حالة عدم التأكد والشك الذي يحيط الإنسان من كل جانب، ويرجع الشك وعدم التأكد إلى عدم القدرة على التنبؤ بالمستقبل، و عدم توفر المعلومات اللازمة للتنبؤ.

4- إدارة المخاطر Risk Management:

إدارة المخاطر عبارة عن: منهج أو مدخل علمي للتعامل مع المخاطر البحتة عن طريق توقع الخسارة أو الأثر المالي للخسائر التي تقع إلى حد أدنى. كما تعرف إدارة المخاطر هي: " تنظيم متكامل يهدف إلى مجابهة المخاطر بأفضل الوسائل وأقل التكاليف وذلك عن التعريف الثالث: لتحقيق الهدف المطلوب

كما تعرف إدارة المخاطر هي: " تنظيم متكامل يهدف إلى مجابهة المخاطر بأفضل الوسائل وأقل التكاليف وذلك عن التعريف الثالث: لتحقيق الهدف المطلوب وتعرف إدارة المخاطر أيضا بأنها: العملية التي يتم بمقتضاها تنفيذ السياسات المتعلقة بالمخاطر، ومنثم تحقيق الأهداف التخطيطية التي وضعت منقبل، هذا أذا كانت إدارة المخاطر تقوم على سياسةتخطيطية .ولقد كانت إدارة المخاطر تقوم من قبل على مفهومالتدخل، أو التعامل مع المخاطر خطرابخطر، كأن نتحدث عن إدارة الفقر، أو إدارة البطالة، أو إدارة العشوائيات في المدن المكتظة بالسكان.ويعتمد هذا المفهوم لإدارة للتعامل مع المخاطر Copingالمخاطر على فكرة التكيف السريع الناشئة، كتلكالتي تنشأ عن الهجرة أو لجوء أعداد كبيرة من السكان بسبب الحروب والنزاعات المسلحة، أو العمل على تخفيف آثار الكوارث الطبيعية كالفيضانات والزلازل والسيول وغيرها

ثانيا-مجتمع المخاطر RiskCommunity:

تأثر علم الاجتماع منذ التسعينات من القرن العشرين بفكرة أو مفهوم المخاطرة في المجتمع، حيث يعتبر مجتمع المخاطر نظرية اجتماعية تصف إنتاج وإدارة المخاطر في المجتمع الحديث. وإذا كان البشر قد تعرضوا للمخاطر طوال تاريخهم المكتوبمع اختلاف في الدرجة والنوع والإدراك والتحكم... إلا أننا نستطيع وصف السنوات الأولى من القرن الواحد والعشرون بأنها متخمة بالمخاطر، وانطلاقا من كل من المنظور الفردي

والمنظور الاجتماعي؛ يمكننا ان نزعم أن المخاطر جزء من الحياة نفسها. فقد نعرض صحتنا للخطر عن طريق التدخين، أوقد نتعرض للخطر الواقع علينا من البيئة التي نعيش فيها، من خلال التلوث، أو من خلال المبيدات المجودة في الطعام، أو من خلال حوادث المرور. وهذه الامثلة جوانب لحياتنا اليومية مألوفة للغالبية العظمى منا. ويميز أنتوني غدنز بين نمطين من المخاطر: الأول هو المخاطر الخارجية التي تأتي من خارجها، أي من الطبيعة، والنمط الثاني هو المخاطر المصنوعة التي تتسبب الكائنات البشرية نفسها في ايجادها .

حيث يتفق أنتوني غدنز مع أولريش بيك، في كون أن فكرة المخاطرة بالمعنى الذي ارتبط بمجتمعات الحداثة، معرض لنمط خاص من الخطر، هو نتيجة لعملية التحديث ذاتها التي غيرت من التنظيم الاجتماعي. وقد ترتب على نشوء المجتمع الصناعي، بما يتضمنه ذلك من استخدام واسع للآلات في المصانع والمزارع في البدايات الأولى له، وتطوير الاعتماد على التكنولوجيا التي غزت في الواقع كل ميادين الحياة، إلى ظهور أنواع شتى من المخاطر لم تكن معروفة من قبل ، حيث يرى أولريش بيك أن "مجتمع المخاطرة " قد ظهر مع منتصف القرن العشرين، وهو مجتمع ساخط على تبعات الحداثة السلبية، يبحث في كيفية إدارة المخاطر (Risk management)والأخطار بالوقاية والعلاج معا، و هو ما أوضحه في كتابه (مجتمع المخاطرة) الذي كتبه عام 1986، مشيرا إلى أن مجتمعات النصف الثاني من القرن العشرين باتت مرغمة على مواجهة سلبيات الحداثة، و إيجاد الحلول و البدائل المناسبة لمجابهة تحدياتها و إدارتها، و هو ما أسماه بـ " عقد المخاطرة " أي مدى القدرة على التحكم في التهديدات و الأخطار الناجمة عن الصناعة و القدرة على تعويضها ... غير أنه في كتابه الآخر الذي كتبه بعد عشرون سنة من ذلك، و هو كتاب (مجتمع المخاطر العالمي : بحثا عن الأمان المفقود) عام 2006، قد فرق فيه بين مجتمع المخاطرة و مجتمع المخاطر العالمي ، حيث هنا يظهر جليا أنه يتحدث عن "مجتمع عالمي " تنتشر فيه المخاطر و الأخطار في مختلف الأقطار، أو كما وصفها (المخاطر الطيارة)، أي التي تطير من مكان الى مكان آخر دون أن نقدر على مسكها و إخضاعها أو التحكم فيها ! لعبت فيها العولمة و انسيابية التدفق و تخطي الحدود القومية دورا بالغا في: عولمة المخاطر و الأخطار، و منه توسيع نطاق عدم الأمان المصطنع.

ليتدفق هذا الأمان المصطنع في حالة من السيلان، كما يقول عالم الاجتماع البولندي سيغموند بومانSigmund Bowman في كتابه "الحداثة السائلة"، ناقدا تلك الحالة من السيلان الاجتماعي والثقافي والسياسي والاقتصادي، التي وصل إليها عصرنا اليوم بفعل الحداثة المتأزمة، والتي جعلت كل شيء حولنا سائلا، بعدما كانت حداثة صلبة إشارة منه أن المخاطر و الاخطار التي كانت تدور في حدود الدولة القومية، قد سالت اليوم في عصر العولمة ليتعدى سيلانها حدوده، فيسيل الى مدى أبعد من ذلك فيصل إلى مناطق و أمكنة أخرى، كسيلان الإرهاب و الأضرار البيئية، ويمكن أن يكون نموذجا بارزا له كانفجار مفاعل "تشيرنوبل" في أوكرانيا في الاتحاد السوفيتي سابقا عام 1986 مثالا صارخا على ذلك، والذي أثار الرعب في العالم كله، بحكم انتشار مفاعلات ذرية شبيهة في عديد من البلادوغيرهما من المخاطر التي سيترتب عنها لا محالة سيلان الخوف ! ليتفطن العالم إلى صيحة عالم الاجتماع الألماني أولريش بيك وهو باحثا عن الأمان المفقود.

حيث يرى أولريش بيك مجتمع المخاطر بأنه "حالة من توافق الظروف، أصبحت فيها فكرة إمكانية التحكم في الآثار الجانبية والأخطار التي يفرضها اتخاذ القرارات محل شك "، وهنا نلاحظ أن المخاطرة مرتبطة باتخاذ القرار بشأن سلوك ما قد يحقق لنا: إما فرصة وإما خطرا. و مع تفاقم المخاطر و الأخطار مقابل الفرص فإن مجتمع المخاطرة بات يعيش حالة من عدم الأمان، و أيضا الشك و فقدان اليقين بخصوص إمكانيته و مقدرته على مواجهة تلك المخاطر (risks) و الأخطار، (dangers) و التحكم فيها مكانيا و زمنيا، و لهذا يتفق علماء المخاطرة على أن عالمنا اليوم يعيش حالة من فقدان اليقين العالمي، وهنا يفرق بيك بين المخاطرة و الكارثة، فالمخاطرة حسبه تعني التنبؤ بالكارثة، أي هي إمكانية أن تطرأ احداث و تطورات مستقبلية، و اذا ما تحققت تصبح إذن كارثة، فالمخاطرة حدث متنبأ بحدوثه، أما الكارثة فهي حدث فعلي.

كما يعرف أنتوني غدنز في كتابه عالم منفلت: كيف تعيد العولمة صياغة حياتنا المخاطرة على أنها: تلك المجازفات التي يتم تقويمها فعليا في علاقتها بالاحتمالات المستقبلية. كما يقول أنها هي القوة الدافعة للمجتمع الذي يصر على التغير، و الذي يريد أن يحدد مستقبله ولا يتركه للدين أو التقاليد أو لقوى، كما يرى غدنز أن عصرنا ليس اكثر خطورة من العصور السابقة، و لكنه شهد تحولا في توازن المخاطر و الاخطار، ما جعل المخاطر المخلقة التي نخلقها بأيدينا أشد خطرا و أثرا من المخاطر الخارجية، هذه المخاطر المخلقة (المصنعة)

جعلت النظرة لعصر الحداثة، بكل آلياته الاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية، قد انتهى بالعالم إلى عصر المخاطر «Risks»والأخطار «Dangers» بفضل العقل الحداثي.

و إنه من الأهمية بمكان، أن نوضح أن البحث في موضوع مجتمع المخاطر في الفترة المعاصرة، كان وليد ظروف مجتمعية و مشكلات جمة طفت على السطح على مختلف الاصعدة أهمها الصعيد البيئي، و كذا الصعيد الأمني و السياسي، و الاقتصادي، و الثقافي، و الاجتماعي ... و كل ذلك كان من مخلفات الحداثة، التي وجهت المؤسسة العلمية– التكنولوجية، و الاقتصادية نحو خدمة و تحقيق انتصاراتها، في الوقت الذي كان المجتمع يدفع ثمن تلك الانتصارات العلمية خاصة، فبدأت تظهر في الجهة المقابلة إخفاقات مقابل تلك الانتصارات ، تمثلت اكثر ما تمثلت في الدمار البيئي (إنسان – حيوان – أرض – هواء – مياه ..) في صورة دراماتيكية رسمت ملامحها سياسة التصنيع و التجارب النووية و الحروب الكيماوية و غيرها ، و هو الأمر الذي أثر بدوره على البعد الاجتماعي و الثقافي من جهة أخرى ، و ذلك من حيث انقطاع الرباط الاجتماعي، فباتت العلاقات الاجتماعية كما أوصفت "علاقات طيارة " ، فمن جهة هي تتشكل و تنتهي بسرعة بصورة تنذر بالخطر، و من جهة أخرى هي غير محدودة و ثابتة، و إنما تتمدد و تتطاير متحدية المكان و الزمان، بفضل تكنولوجيا الاتصالات الرقمية، خاصة تلك العلاقات "الافتراضية " و التي شكلت أخطارا على العلاقات الاجتماعية "الحقيقية "، إضافة الى أن توسع شبكة العلاقات الاجتماعية عبر الفضاءات الالكترونية، قد يحمل في طياته مخاطر توسع شبكة العلاقات " الإجرامية " .. وكذا تغذية صراعات ونزاعات أثنية وعرقية ذات بعد ثقافي –ديني، مما قد يترتب عنه أيضا مخاطر وأخطار أخرى عالمية على صعيد آخر.

و هكذا تتنوع المخاطر و الأخطار التي يعكف علم اجتماع المخاطر على دراستها، لتشمل مخاطر الدمار البيئي مثل تلوث الهواء و البحار ، الغازات الدفيئة و الاحتباس الحراري و ثقب الأوزون ، و الأمطار الحمضية و الزراعة الوراثية ، و تناقص الثروات الباطنية و المياه الجوفية ، تقلص المساحات الغابية و الثروة السمكية، إضافة الى مخاطر التجارب النووية و تخصيب اليورانيوم و أسلحة الدمار الشامل و الحروب الكيماوية، و الأوبئة الفتاكة مثل انفلونزا الخنازير و الطيور و جنون البقر و الإيدز، الى جانب الاستنساخ و الانتقاء الجيني مختلف التكنولوجيا الحيوية ، كما هناك مخاطر متعلقة بالأمن القومي و العالمي مثل التطرف الايديولوجي و الإرهاب الدولي ، النزاعات الاثنية بين الطوائف و الاقليات، والصراع العرقي و الجندي، إضافة

الى تهجين الهويات، النزعة الفردانية وانقطاع الرباط الاجتماعي، والمشكلات الاقتصادية مثل الأزمات المالية العالمية، أزمات البترول و غيرها من المخاطر التي شهدها العالم مؤخرا، والتي أثرت لا محالة على المجتمع الإنساني أفراد و جماعات، حيث تراكمت و اتسعت إلى أن طفت على السطح منذرة بمستقبل كارثي، يهدد أمن أغنياء العالم و فقراءه دون استثناء .

الأمر الذي يتطلب إدارة هذه المخاطر، والتي تتطلب بدورها ممارسة الانعكاسية، بما تعنيه من إعادة التفكير وتقليب وجوه الرأي على من المستوى الفردي والمستوى المؤسسي، وهذا يعني أننا نقوم بصورة مستمرة بأنشاء دعائم شبكاتنا الاجتماعية، وإعادة إنشائها وتجديدها والحفاظ عليها، وفي الماضي كان يوجد ما أسماه جيدنز "اليقينيات الأنطولوجية (الوجودية)، وهي المجتمع المحلي والحياة العائلية والزواج والعمل، وهي المجالات التي كان يتم تعريفنا بواسطتها، الا أنها لم تعد توجد بأي معنى ثابت أو دائم، وليس لدينا الأن معرفة أوفهم واضع لمعاني هذه الجانب من حياتنا. لذلك فإننا نصنع أو نصوغ أنفسنا ونعيد صياغتها حتى نتغلب على مشكلات التغير المتواصل.

إن" الانعكاسية " هو الاسم الذي أعطاه غدنز للبحث عن الأمان الانطولوجي بسبب غياب المعالم التقليدية، التي ساعدتنا في الماضي على تعريف أنفسنا وتحديد موقعنا داخل سياق ثقافي معين. ورغم وجود عناصر من الحقيقية البديهية في فكرة مجتمع المخاطر، الا أنه يمكننا جميعا أن نفهمها على كل من المستوى الفردي والمستوى المجتمعي، فلابد من التساؤل عما إذا كان هذا المجتمع ظاهرة جديدة من عدمه؟ اذ أن من السهل وصف المجتمعات الماضية بأنها كانت أكثر خطورة، وتتأكد هذه الحقيقة على وجه الخصوص فيما يتصل بالصحة، كما تدلنا على ذلك أي مراجعة لإحصائيات أمد الحياة المتوقع. وهل المخاطر بنفس الضخامة التي يميل بعض المعلقين لأن يجعلونا نعتقد بها؟، وهل الاطفال في الماضي حين كانوا يلعبون خارج بيوتهم في الشارع أو في الحدائق العامة؟، هل كانوا معرضين لخطورة أكثر مما يتعرضون له حاليا؟ أم هل يعد إبراز هذه الخطورة على هذا النحو تصورا تسببت وسائل الاتصال في غرسه في العقول؟، إن بالإمكان الانتفاع بالنظرية الاجتماعية كأداة في هذا السياق، لتقديم منحى نقدي لفهم هذه الجوانب من حياتنا اليومية.

ثالثا–نظريات علم الاجتماع المخاطر (أولريش بيك، أنتوني غدنز، إلياس نوبرت):

1- معالم نظرية أولريش بيك:

لقد عرف أولريش بيك في البداية من خلال أطروحته حول مجتمع المخاطر. حيث يرى بيك أن هناك انقطاعا أساسيا داخل التاريخ الاجتماعي للحداثة، وهو انقطاع ميزه انحلال الصيغ الأقدم للمجتمع الصناعي ونمو مجتمع مخاطر جديد، ويرى بيك أن الأجيال السابقة في المجتمعات الصناعية، كانت غير مبصرة بالأضرار البيئية التي يسببها التصنيع، وهكذا بدا الوعي الاجتماعي بالأضرار الصناعية الواسعة النطاق في فرض تأثير كبير في المواقف الثقافية للأفراد، والسلوكيات الاجتماعية في مجتمع المخاطر الناشئ، ويبدو هذا جليا بشكل خاص في العلاقة بالملوثات الكيميائية والتكنولوجيا النووية، والهندسة الجينية. حيث ينتج وعي المخاطر الجديد من تصور تدعمه وسائل الاعلام، التي تجعلنا نعيش في فترة زمنية تكون فيها أعباء التصنيع البيئية آخذة في تجاوز المكاسب الاجتماعية، إن الأطر المرجعية التي تشكل مقاربة بيك في التعامل مع النظرية الاجتماعية، وكذا مصطلحاته في التحليل السياسي متجذرة في الاعتقاد أنه لم يبصر أفراد المجتمع الصناعي مخاطر التحديث، فإن سكان مجتمع المخاطر يجب أن يتفهموا مع مستقبل محتمل حيث تلوح الابادة الذاتية فوق الأفق الثقافي .

ليؤكد بيك أن مجتمع المخاطر، يشمل كذلك سلسلة من التغيرات المترابطة المتداخلة في حياتنا الاجتماعية المعاصرة، والاستخدام، تزايد الإحساس بانعدام الأمن الوظيفي، واحصار أثر العادات والديمقراطية في العلاقات الشخصية، ولأن مستقبل الأفراد الشخصي لم يعد مستقرا وثابتا نسبيا كما كان في المجتمعات التقليدية، فإن القرارات مهما كان نوعها واتجاهها، أصبحت الآن تنطوي على واحد أو أكثر من عناصر المخاطر بالنسبة إلى الأفراد. كما أن المخاطر نكتنف، وإن إلى حد أقل خيارات وقرارات أخرى تتصل بالمؤهلات التربوية والتعليمية، وبالمسارات الوظيفية والمهنية حيث إن من الصعب التكهن بطبيعة المهارات والخبرات العملية في مجالات الاقتصاد المقبلة المتغيرة على الدوام، ويرى اريش بيك أن جانبا مهما من مجتمع المخاطر يتمثل في أن الاخطار تنتشر وتبرز بصرف النظر عن الاعتبارات المكانية والزمانية والاجتماعية. إن مخاطر اليوم تؤثر في جميع البلدان والطبقات الاجتماعية، وتكون لها آثار شخصية وعالمية في الوقت نفسه، إن كثيرا من الاخطار المصنعة، ولا سيما في ميادين الصحة والبيئة، تتجاوز حدود البلدان وتتعدى النطاق القومي .

وكما يقف أولريش بيك، موقف المعارضة والرفض إزاء الاتجاهات ما بعد الحداثة. إننا لا نعيش في عالم ما بعد الحديث، بل إننا نتحرك الان الى مرحلة يمكن أن نسميها الحداثة الثانية التي تعولمت فيها المؤسسات الحديثة فيما انفلتت فيها حياتنا اليومية من قبضة التقاليد والعادات. لقد بدأ المجتمع الصناعي القديم بالاندثار، مفسحا الطريق ليحل مكامنه مجتمع المخاطرة. وما يطلق عليه منظرو ما بعد الحداثة مصطلح عالم الفوضى إنما يمثل غياب أنماط الحياة المستقرة ومعايير السلوك الارشادية؟ إننا على ما يرى بيك، نعيش عالم المخاطرة وعدم اليقين. وقد تفاقمت المخاطر بالثورات المتجددة في مجال التقانة. ومع الإقرار بنواحي التقم والتحسس الهائلة التي تحققت في المجتمعات الحديثة، فإنه لا يمكننا أن نغفل عن الآثار المدمرة التي المحتملة لهذا التطور التقني، سواء في المجالات النووية أو في انتاج المحاصيل المعدلة جينيا.

ولا يعتقد أريش بيك أن المجتمعات الحديثة تواجه قدرا من المخاطر يزيد على ما صادفته المجتمعات التقليدية او القديمة. غير أن المخاطر تختلف في أسبابها واصولها وطبيعتها، فالطبيعة كانت الصدر الرئيسي للمخاطر التي تعرض لها المجتمع في الماضي. أما المخاطر التي تتعرض لها المجتمعات الحديثة، فإنها تعود إلى أنماط التنمية الاجتماعية، وإلى المراحل المتقدمة التي بلغها التطور العلمي والتقني. ويعتقد بيك أن مسؤولية إدارة تلك المخاطر يجب ألا تترك للسياسيين والعلماء فحسب، بل ينبغي أن تسهم فيها جماعات المواطنين بدور رئيسي. ويشترك بيك مع هابرماسHabermasبدعوة المجتمعات والحركات الاجتماعية الى الضغط والتأثير على الآليات السياسية التقاليدية، ولا سيما في المجالات المتعلقة بحقوق الانسان، والمحافظة على البيئة، والدفاع عن مصالح المستهلكين .

ونتيجة لهذه الأوضاع الجديدة، يرى بيك ضرورة مراجعة للغة العلوم الاجتماعية، حتى يتم التمكن من ابتكار مفاهيم أكثر ملاءمة، لإدراك واقع العالم الذي نجد فيه أنفسنا حاليا، كما يرى أن العديد من مفاهيم علم الاجتماع الراسخة مثل الطبقة الاجتماعية، وأدوار النوع، والدولة القومية، أصبحت حاليا مفاهيم قديمة، و بالفعل فإنه يتمسك برؤية وصولنا الى مرحلة في تقدمنا الاجتماعي، تم خلالها تطوير ما يعرف باسم الاطر الكلاسيكية لتحليل علم الاجتماع، على يد كتاب أمثال ماكس فيبر وإميل دوركهايم Max Weber and Emile Durkheim... الذين لم يعودوا يمدوننا بأي رؤى مميزة حول التحولات الرئيسية، التي تشكل البناء ككل ونوعية حياتنا في المجتمعات المعاصرة، وبناء على ذلك قد ينظر الى كتاباته بوصفها محاولة لتزويد علم الاجتماع

بنظريات عن المجتمع، تتوافق بصورة أكبر مع الحساسيات الثقافية المعاصرة. حيث يعتمد أولريش بيك في نظريته على ثلاث منظورات وهي:

-**العولمة:** حيث عملت على عولمة المخاطر و الأخطار، و تجسيد اللحظة الكوزموبوليتانيةCosmopolitanism(اللاقومية) ، مع تراجع الدولة القومية، فبات ضروريا أن يتم فهم المخاطر في سياق عالمي، و هو ما يسميه بـ الكوزموبوليتانية المنهجية، بعدما كانت تفهم في سياق قومي داخلي القومية المنهجية.

-**التصوير و الإخراج:** و هو يعني أن المخاطرة والتي هي أمر كارثي متوقع و متنبأ به، يتم إخراجه و تصويره بوصفه توقعا ذا مصداقية ما يكسبه الصفة الحقيقية، فيشكل صورة نمطية ذهنية في عقول الناس بأن الكارثة حاضرة بينهم ، أي أن مستقبل الكارثة حاضرا ، الأمر الذي يهدف غالبا إلى منعها و تفاديها. والتصوير السينمائي للمخاطرة لا يعني تزوير الحقيقة من خلال تزوير مخاطر غير حقيقية، وإنما هو عرض سياسي إعلامي للجمهور وللعالم حتى يدركوا مستقبل المخاطرة، ومنه يتم تفادي الوقوع في الكارثة من خلال التأثير على القرارات الحالية، وحسن إدارة الوضع والتحكم فيه.

-**المقارنة بين المخاطر البيئية و الاقتصادية و الإرهابية:** بحيث أن بيك انطلق في تحليله من ثلاث منطقيات للمخاطر الكونية و هي: مخاطر بيئية – مخاطر اقتصادية مالية – مخاطر الإرهاب. فاعتبر أن المخاطر البيئية والاقتصادية تأتي صدفة أي عن حسن نية، أما مخاطر الإرهاب فهي مقصودة أي عن سوء نية. ويربط بيك كل هذه المخاطر بثقافة المجتمع الناشئة فيه وفق ما أسماه بـ " الإدراك الثقافي للمخاطرة "، وهو أن كل مجتمع له تقييمه الخاص لمستوى المخاطرة ودرجتها، وكلما قلت إمكانية تقدير الخطر اكتسب الإدراك الثقافي المتنوع للمخاطرة ثقلا أكبر.

و تتنوع المخاطر و الأخطار التي يعكف علم اجتماع المخاطر على دراستها، لتشمل مخاطر الدمار البيئي مثل تلوث الهواء و البحار، الغازات الدفيئة و الاحتباس الحراري و ثقب الأوزون ، و الأمطار الحمضية و الزراعة الوراثية، و تناقص الثروات الباطنية و المياه الجوفية، تقلص المساحات الغابية و الثروة السمكية ...الخ إضافة الى مخاطر التجارب النووية، و تخصيب اليورانيوم، و أسلحة الدمار الشامل، و الحروب الكيماوية، و

الأوبئة الفتاكة مثل انفلونزا الخنازير و الطيور، و جنون البقر، و الإيدز، والاستنساخ و الانتقاء الجيني، و مختلف التكنولوجيا الحيوية ، كما أن هناك مخاطر متعلقة بالأمن القومي و العالمي، مثل التطرف الايديولوجي و الإرهاب الدولي، والنزاعات الاثنية بين الطوائف و الاقليات، والصراع العرقي و الجندري، إضافة الى تهجين الهويات، النزعة الفردانية، و انقطاع الرباط الاجتماعي، و المشكلات الاقتصادية، مثل الأزمات المالية العالمية، أزمات البترول و غيرها من المخاطر التي شهدها العالم مؤخرا، والتي أثرت لا محالة على المجتمع الإنساني أفراد وجماعات، حيث تراكمت و اتسعت إلى أن طفت على السطح، منذرة بمستقبل كارثي يهدد أمن العالم دون استثناء .

وتناولت مؤلفات بيك بنوع من الاسهاب، ارساء فكرة الخطر مفهوما رئيسا للتحليل القائم على علم الاجتماع، واستخدم هذا المفهوم ليبدأ في خوض مجموعة متنوعة من السجالات النقديةحول الطبيعة الأساسية للمجتمع، والثقافة، والسياسة المعاصرة. ويستخدم تركيز بك على الخطر في تقديم رؤية متسعة للحياة الاجتماعية، حيث يمر الأفراد فيها وبصورة متزايدة بشعور واضح بعدم الأمن بخصوص الشؤون اليومية للحب والعمل، كما يستخدم هذا التركيز في جذب اهتمام علم الاجتماع لتناول مشكلات الأخطار البيئية، وبينما يرى بيك أن وعي الناس بالأخطار يرتبط بمعرفتهم بالتهديدات المحيطة بالبيئة، فإنه يحدد أيضا المدى الذي قد ينجم فيه الوعي بالخطر، عن تجربة أنماط التوظيف والتحول المرنة في الحياة الاسرية، ويقدم بك – بجانب كتاب مثل أنتوني غدنزوباومانAnd Baumann مقولة مجتمع المخاطر، باعتبارها طريقا سريعا عالميا للتغير الاجتماعي السريع، وهو عالم يكون فيه الأفراد مجبرين باستمرار علي التفاوض حول البنود الأساسية لهويتهم الذاتية، والمعنى الثقافي والانتماء الاجتماعي، ويؤكد ان الناس عليهم التفكير – أكثر من ذي قبل – بصدد حياتهم من خلال احتساب المخاطر.

ويمثل "الوعي بالخطر" حساسية ثقافية متجذرة في عمليات الفردنةIndividualization والتحديث dernizationReflexive Mo، وتجد غالبية الناس الآن أن الترتيبات الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة، لا توفر الوقت أو المتسع للأنماط التقليدية من العمل والحياة الأسرية، ونتيجة ذلك فإن الأفراد يجبرون بشكل متزايد على القيام باختيارات مضطربة، حول كيفية عيشهم حياتهم، وقيل إن مثل هذه العملية المعقدة من الفردنة هي مصدر واستجابة لعملية تحديث انعكاسي إضافية. وذلك على اعتبار أن الحداثة الانعكاسية هي مواجه

المجتمع الصناعي مع نفسه من خلال نموذج المخاطر، كما يعرفها أولريش بيك، فالانعكاسية هي نوع من الصراع يسهم في هيكلة النقد المعاصر للحداثة، ويحدد معالم حداثة أخرى. ويعرفها في تحليلاته السوسيولوجية بأنها توزيع ذاتي ومشكلة ذاتية للمجتمع الصناع في حد ذاته .

الأمر الذي يقتضي على الأفراد أن يدخلوا في سجالات نقدية أوسع نطاقا، حول التنظيم السياسي والنماذج الراسخة للتقدم الاجتماعي، كما أنه عليهم أن ينظروا برؤية نقدية إلى قيمة وهدف حياتهم، وبناء على ذلك فإنه يمكن أن ينتج التفكير النقدي من نمو المعرفة المعلقة بالتهديد بكارثة بيئية، ترتبط ثقافة مثل هذا التفكير في الوقت نفسه بالظروف الاجتماعية اليومية لحال عدم الأمن الواضحة.

وفي التحليل النهائي إن قدرا كبيرا من شروح بيك القائمة على الاجتماع، هو إيثار المزيد من النقاش حول الامكانات التي توجد داخل مجتمع المخاطر من أجل التغير الاجتماعي الراديكالي، وهناك تأصيل قوي لعمله هذا، إذا أوضح اهتمامه بتطوير حداثة راديكالية جديدة موجهة بمثل التنوير البيئي. وانطلاقا من اقتناعه بأن عملية التصنيع الغربي جعلتنا على شفا كارثة بيئية عالمية، فإن شعورا بالخطورة يميز بحثه من أي تطورات تدل على نجاح المجتمع بضرورة أن يصلح نفسه (وبخاصة في استخدامه للتكنولوجيا والعلوم)، وكذا ضرورة أن يضمن بقاء كوكبنا. وبينما يمكن الاعتراف بعنصر اليوتوبياUtopiaداخل نظريته الاجتماعية، وهي التي أزيلت تماما من النماذج الماركسية المثالية، التي الهمت الأجيال الأولى من واضعي النظريات القديمة، وبينما كان يبحث عن تطوير وجهة نظر كوزموبوليتيةجديدة حول السياسة والقانون الدوليين، فإنه أكد أن أفضل أمالنا بالنسبة إلى المستقبل تقوم على إمكان زيادة مشاركة المجتمع الدولي، متمثلا في المنظمات غير الحكومية داخل القرارات السياسية الرئيسية المواجهة للمجتمع العالمي، وفي هذا الصدد فإن بذور التغير الاجتماعي الراديكالي بذرت فعلا على يد منظمات مثل السلام الاخضر وجينووتش، و أوكسفام، And Genouch, and Oxfamومنظمة العفو الدولية، وبقدر شدة مخاوفنا المشتركة على المستقبل، فإن الفرص يمكن أن تزيد أمام هذه البذور كي تنبت وتزدهر.

ويحيط الكثير من أوجه الجدل بأعمال بيك، أولها بعض الاعتراضات على الواقعية القوية التي تغلف وصفه للأخطار البيئية، وبخاصة فشله في تناول التركيب التحليلي للنقاشات القائمة على علم الاجتماع حاليا، بخصوص البناء الاجتماعي لفهمنا الثقافي للخطر، ثانيها أن الدراسات العملية لتصور الخطر توصلت

إلى شواهد قليلة للغاية لدعم التمثيل المفضل لبيك للطرق التي يؤهل فيها الأفراد للخبرة ومعرفة المخاطر المحتملة بالنسبة اليهم والى الآخرين، وآخر أوجه الجدل هنا، هو أن البعض يعيب عليه أنه يتناول القضية بطريقة السرد التاريخ الذي يؤطر سرده لجدة مجتمع المخاطر، ويدفعه كل ما سبق وغيره إلى التأكيد أن نظرية علم الاجتماع الكلاسيكية ليست لها قيمة في فهم التطورات الاجتماعية المعاصرة، ومع هذا فإنه ليس هناك شك في واقع أن أعماله معترف بها حاليا على نطاق في ما يخص مهمة التنظير للعالم، إن أولريش بيك مثال رئيس لعالم الاجتماع الذي يمثل روح العصر، وبينما قد يتبنى غالبية الشارحين موقنا نقديا عريضا تجاه مقولات فرضياته المحورية، فإنه من الواضح تماما أنهم ينظرون اليه على نطاق واسع بوصفه ذا قدرة كبيرة بالنسبة إلى منظري علم الاجتماع على الخوض في مهمة التفكير في المجتمع من جديد .

2- معالم نظرية أنتوني غدنز:

تعتبر نظرية المخاطرة في جوهرها؛ محاولة لفهم التغير الاجتماعي في العالم المعاصر، وهذا ما حاول أنتوني غدنز وضعه في مؤلفاته، حين أبرز منظورا نظريا حول التغيرات التي تكتنف عالمنا المعاصر. مؤكدا بأننا نعيش اليوم في عالم منفلت تحف به المخاطر التي تحدث عنها أولريش بيك. حيث ميز غدنز بين نمطين من المخاطر: الأول هو المخاطر الخارجية التي تأتي من خارجها أي من الطبيعة، والنمط الثاني هو المخاطر المصنوعة التي تتسبب الكائنات البشرية نفسها في ايجادها ، حيث أصبحنا نحيا في عالم يترنح على حافة الكارثة، فقد انحرف عن مجراه الأصيل بطريقة يصعب معها إعادته إلى صوابه، إننا نحيا في ما يسمي" الاقتصاد الرأسمالي العالمي "، الذي فيه تشكل العلاقات الرأسمالية الاقتصادية كفة الميزان للعالم، وحتى على الجانب الإيجابي أو الأكثر أهمية، نحن نحيا في نظام الدولة القومية العالمية؛ وهو نظام لا نظير له في التاريخ، ولكن فيه من الهشاشة الواضحة في تحطيم قواه العظمى، التي تسلح بها على الفوضى السياسية في النظام العالمي.

هذا النظام العالمي الذي نعيش فيه اليوم، يسوده الاغتراب والاضطراب واللايقين، مما يشكل أساسا عميقا لحالة العجز عن التنبؤ بالمستقبل. ويدفعنا دفعا للعيش في نظامه الكوني، ومع أننا لا نفهمه فهما كاملا، إلا أننا نشعر جميعا بتأثيره فينا،ونشاهد أولا توسع الرأسمالية وعولتها على صعيد الكرة الأرضية، ثم إن هذا التبدل

يتوافق مع ظهور اقتصاد المعلومات، ومع الانقلابات المرتبطة بانطلاقة العلم والتكنولوجيا، وانتشار في نهاية القرن 20 لمثل الديمقراطية على كامل الأرض تقريبا، من باب الجاذبية على الأقل تظل هذه الميول الثلاثة كما يبدو لأنتوني غدنز، القوى الكبرى التي تقود المجتمعات؛ غنها محركات الحداثة. لهذا السبب يعتقد أنتوني غدنز بأننا نعيش في مرحلة انتقالية، نحو مجتمع كوسموبوليتيCosmopolityشامل ومدفوع بقوى السوق، وبالتغيرات التكنولوجية والتغيرات الثقافية. هذا المجمع العالمي غير منقاد عن طريق الإرادة الجماعية. وتمثل فيه الحداثة نوعا من آلة هوجاء، تتابع طرقها متجاهلة رغبة كل واحد.

هذه الحداثة التي يندر تحت مفهومها ثلاث مصادر للدينامية، كما يؤكد أنتوني غدنز وهي: الابتعاد، والانفصال، والانعكاسية. وييسر افصال وإعادة الجمع بين الزمان والمكان؛ تزايد منطقة الحياة الاجتماعية، وتصبح وقائع وتفاعلات الحياة اليومية أقل ارتباطا بالثوابت، وأقل اعتمادا على الوجود المشترك للأفراد المنخرطين في هذه الحياة اليومية، وفي المقابل، ييسر ذلك تطور المنظمات الحديثة، ويسمح بظهور تأريخ راديكالي، يمكن من خلال ملاءمة الماضي بهدف تشكيل المستقبل. والأمر الأكثر أهمية أنه ييسر انفصال النظم الاجتماعية، ويشير الانفصال على رفع العلاقات الاجتماعية من سياقات تفاعلاتها الاجتماعية، التي تسمح بإعادة بنائها عبر مسافات زمنية ومكانية أكبر. إن الحداثة هي عملية عولمة في طبيعتها، وهكذا يرتبط التباعد المكاني–الزمني المحلي بالعالمي، من خلال آليات الانفصال المتمثلة في الشواهد الرمزية وهي وسائل الاعلام، إلى جانب النظم الخبيرة وهي نظم الإنجاز التقني والخبرة الشخصية. وهذا بالرغم من وجود عمليات إعادة تجمع، يتم من خلالها تقليل انفصال العلاقات الاجتماعية .

ليوضح هنا "أنتوني غيدنز" مدى قوة العلاقة بين العولمة والمخاطر. مؤكدا أن العولمة تؤدي إلى نتائج بعيدة المدى، وتترك آثارها على جوانب الحياة الاجتماعية جميعها تقريبا. غير أنها باعتبارها عملية مفتوحة متناقضة العناصر، تسفر عن مخرجات يصعب التكهن بها أو السيطرة عليها. وبوسعنا دراسة هذه الظاهرة من زاوية ما تنطوي عليه من مخاطر. فكثير من التغييرات الناجمة عن العولمة تطرح علينا أشكالا جديدة من الخطر، تختلف اختلافا بينا عما ألفناه في العصور السابقة، بظهور ظاهرة الاحتباس الحراري، وانتشار أمراض من نوع جنون البقر، والجدل القائم حول الزراعة المعدلة جينيا، قد بدأت تطرح كلها مجموعة من الخيارات والتحديات الجديدة أمام الناس. وبدا الأفراد والجماعات والمؤسسات المتعددة الجنسية؛ تتخذ سلسلة من المبادرات والحملات

الفردية والجماعية، لمواجهة مثل هذه المخاطر المحتملة. وقد أسهمت المعلومات المتضاربة، وربما المتناقضة أحيانا، عن كل من هذه المخاطر تثير مزيدا من القلق، بشأن ما ينبغي على الإنسان الحديث أن يمارسه، أو يتغذى به في حياتنا المعاصرة .

وهنا يرى أنتوني غدنز؛ أن على السوسيولوجيا أن ترتبط من الناحية التاريخية بحركة تحول العالم هذه. وهنا يكمن مبرر وجود السوسيولوجيا، وهو أن تحاول فهم هذه العملية. حيث يجد في السوسيولوجيا نوعا من تعرف الحداثة على ذاتها، وعليها أن تستشف قدرات الحداثة الكامنة وحدودها، إلى جانب إضافةمفهوم الثقة الى جانب المخاطر، وهي الآمال التي نعقدها على الأفراد والمؤسسات في المجتمعات الحديثة. إذ يسبب غيابها شعورا بالقلق. وعلى العكس من المجتمعات قبل الحديثة، حيث ارتكزت الثقة والمخاطر على ظروف المكان المحلية، وترتبط بشدة في طبيعتها، وتتسم بالمخاطر من جهة العالم المادي أو العنف في الحياة الاجتماعية، وتقدم الحداثة خطرا جديدا يتسم بالخطر المصنع. وهنا علينا أن نكن الثقة بمنظومة واسعة من الهيئات التي تؤثر في حياتنا، مع العمل على انتشار المعرفة السوسيولوجية المنتظمة اجتماعيا، في شكل نظم موجزة، لنستطيع مواجهة ما يمكن أن نصادفه من مخاطر، ليصبح الخطر محدد للثقافة الواحدة والحياة الحديثة، أو يحل حتى محل التصور المسبق المرتبط بالثروة ، وأن نتخلص من فكرة توجيه واع وتحت السيطرة لمصيرنا، مثلما كان يواجه علماء الاجتماع الكلاسيكيون؛ يمكن التأثير عليه من خلال اكتشاف قوى التغيير الاجتماعي ومحركاته، ومن خلال تعلم إدارة المخاطر، أكثر منها الرغبة بالسيطرة على كل شيئ،

ولتعلم إدارة المخاطر؛ يتطلب الامر ممارسة الانعكاسية، بما تعنيه من إعادة التفكير وتقليب وجوه الرأي على كل من المستوى الفردي والمستوى المؤسسي. وهذا يعني أننا تقوم بصورة مستمرة بإنشاء دعائم شبكاتنا الاجتماعية وإعادة إنشائها، وتجديدها والحفاظ عليها. وفي الماضي كان يوجد ما أسماه غدنز اليقينيات الأونطولوجيةOntologyأو الوجودية، وهي: المجتمع المحلي، الحياة العائلية، الزواج والعمل، وهي المجالات التي كان يتم تعريفنا بواسطتها، إلا أنها لم تعد توجد بأي معنى ثابت أو دائم، وليس لدينا الآن معرفة أو فهم واضح لمعاني هذه الجوانب من حياتا، لذلك فإننا نصنع أو نصوغ أنفسنا ونعيد صياغتها حتى نتغلب على مشكلات التغير المتواصل. أن الانعكاسية هو الاسم الذي أعطاه غدنز؛ للبحث عن الأمان الأنطولوجي

الوجودي بسبب غياب المعالم التقليدية، التي ساعدتنا في الماضي على تعريف أنفسنا، وتحديد موقعنا داخل سياق ثقافي معين.

حيث تتمثل النزعة الانعكاسية في قيام الباحث يجعل نفسه موضوعا علميا، يسائل ويتساءل فيه عن قيمة منسقه من حيث التوفيق أم لا، في اختيار الأدوات البحثية من منهج وأدواته، إضافة إلى مساءلة شروط إنتاجيه المعرفي. حتى وإن كان المفهوم قد وظف من طرف غولدنر Goldner، فإن الفضل يعود إلى كل من دافيد بلور وبورديووغدنز David Bloor, Bordeaux and Godens في جعله يؤسس لمفهمة جديدة، ويجن أقلاما في هذه الوجهة، وجدت فيها الخلاص من المشاكل التي انحبست فيها العلوم الإنسانية، وعلم الاجتماع أحدها لمدة ليست باليسيرة، مما خلق شرعية ما لتداول لفظة أزمة علم الاجتماع.

من الواضح أن الانعكاسية تيمة أبستمولوجية Epistemology تتجاوز مجرد الطرح المنهجي، حيث يعتبر أنطوني غدنز الانعكاسية بعدا مكونا ومشكلا للاجتماعي، تكتسب مكانها في نظرية للفعل، أو لنقل علم الاجتماع الفعل، على خلفية أن الأفراد حسب غدنز دوما مزودين بقدرة، أو كفاءة تتمثل فيما يعرفه الفاعلون حول ظروف فعلهم وفعل الآخرين، والذين يوظفونها في الإنتاج وإعادة إنتاج الفعل، أو مقدرتهم على فهم ما يفعلون أثناء أدائهم للفعل، انطلاقا من مسلمة أن كل البشر مزودين بالقدرات التي تتيح لهم معرفة شروط وظروف فعلهم اليومي، من الطبيعي، والحال هذه، أن يمارسوا رقابة تفكيرية انعكاسية على افعالهم، وعلى بقية الفاعلين ويتحركون بطريقة روتينية في الابعاد الاجتماعية التي يرد الفعل في سياقها.

لكن هذه الانعكاسية لا تعمل إلا جزئيا في المستوى الخطابي، مما يقود غدنز إذن إلى التفريق بين نمطين من الانعكاسية: الوعي الخطابي والوعي العملي. حيث يحيل الوعي الخطابي إلى كل ما يمكن أن يعبر عنه الفاعلون بطرق متنوعة شفويا أو كتابيا، أي ما نختصر فيه عادة مفهوم الوعي. ويعني الوعي العلمي، وهو مفهوم أكثر أصالة، كل ما يعرفه الفاعلون بشكل مضمر، وكل ما يعرفون القيام به في الحياة الاجتماعية دون الحاجة إلى التعبير عنه مباشرة بطريقة خطابية. لا يعدم هذا المفهوم صلته بمفهوم الرتابة. فالحدود بين وجهي المهارة هذين عائمة ومتغيرة. على النقيض من ذلك. يلحظ غدنز، وبالإشارة إلى نظرية سيغموند فرويد Sigmund Freud في التحليل النفسي، أنه توجد حواجز، وخاصة الكبت، بين الوعي الخطابي واللاوعي. ذلك أن اللاوعي يتضمن أشكال الإدراك والاندفاع المكبوتة كليا، أو التي لا تظهر في الوعي إلا بعد تحويرها.

يشكل اللاوعي أحد حدود مهارة الفاعلين البشر ، إلى جانبجهل الفاعل بعض ظروف فعله، علاوة على أنه يفهم نظريا أسس فعله، غير أنه لا يستطيع بالضرورة على حوافزه. فالحافز هو الرغبة التي تلهمه غير الأسباب التي تكون ذات طابع عقلاني، وبالتالي يقيم غدنز تميزا بين مقدرة الفاعلين على التعبير بطريقة خطابية على نواياهم، والأسباب القائمة من وراء فعلهم، غير أنهم لا يوفقون عندها يتعلق الأمر بالبواعث، وهو الفرق الموجود بين الوعي الخطابي، أي ما يستطيع الفاعل عزله وفعله، والوعي العملي وهو ما يعرف الفاعل فعله فقط والبواعث اللاشعورية .

وهذا ما يؤكده عليه أنتوني غيدنز عندما يرى أن هناك سبب أساسي لصعوبة التحرك وقيادة التغيير بوضوح. وهو يتعلق بالارتدادية أو الانعكاسية في المعرفة الاجتماعية. ففي العلوم الطبيعية بإمكانك أن تدرس وأن تتوقع سلوك الجسم ما، إذا كانت قد درست خصائصه وانتكاساته تجاه هذه البيئة أو تلك. أما في العلوم الاجتماعية فاعلة يختلف سلوكها تبعا للمعارف التي بحوزتها عن الحالة. إن مفهوم الارتدادية يعني أننا نعيش ضمن مجتمع ليس محكوما بالضغوطات الطبيعية أو برتابة التقاليد. فكل قرار تتخذه، كاختيار أن تلبس بهذا الشكل أو اختيار هذه البزة أو ذاك القميص، وهو فعل اعتيادي ولا يمكن أن يتم بشكل تلقائي، فهو يشكل جزءا من عملية دينامية لتشييد الذات، إن قرار أن تلبس بهذا الشكل أو ذلك يفترض أن تنظر حولك وأن تستعلم عن طرز الألبسة وأن تقوم بالاختيار... كل ذلك يشكل جزءا من الطبيعة الارتدادية للذات في المجتمعات المعاصرة.

وبالتالي تصبح المعرفة التي بحوزتنا عن المجتمع عاملا يرتد بفعله على المجتمع بالذات، وهذا ما بينه علماء الاجتماع الذين يواجهون الفرد الاجتماعي كفاعل كفء. مثلا، لا يمكننا التنبؤ اليقيني بتصرفات العملاء الاقتصاديين (المنتجين والمستهلكين)، فهم يرتبون بشكل دقيق فعلهم تبعا لمعارف التي بحوزتهم عن الواقع الاقتصادي، فالبورصة تتطور تبعا لعوامل موضوعية، لكن أيضا وبشكل خاص تبعا للمحاكمات يجريها المستثمرين عن حالة السوق.

والملاحظ أن غدنز بعدما وضع مسلماته الفكرية يخلص الى اسقاطها على تيمة الحداثة وما تنتجه من مخاطر، فيطرح فكرة مغايرة يذهب فيها إلى كون علم الاجتماع في عصر الحداثة وما بعد الحداثة، اكتسى قيمة انعكاسية تتمظهر في أن الأفكار التي يأتي بها مثلا تتسلل إلى الأفراد وتؤطر أفعالهم، حيث أنهم يفكرون وفق مبادئ النظريات السوسيولوجية، مما يجعل النظرية السوسيولوجية في غدو ورواح بين الباحث وموضوع

بحثه ، مما جعل أنتوني جيدنز يضع تعريفا للحداثة الانعكاسية بأنها: "السبب والمسبب، وهذا يعني أن الحيز الاجتماعي ليس فقط مكان الفعل، ولكن مكان التفكير في الفعل. الانعكاسية هي ملك للفعل الاجتماعي الذي يقود الفعل للتأثير على الفاعل والعكس، من خلال إرجاع دائم بين وصف الوضعيات والوضعيات نفسها" .

وما يساهم في ذلك كون الحداثة هذه تتسم بانتشار مهول لوسائل الاتصال، مما يجعل المعلومة ناهيك عن كونها مادة ممتازة للنقد والتعليق تؤثر مباشرة على حياة الناس وتعيشه في مخاطر، وعليه تظهر الوشائج العميقة بينهما، وهكذا تتضمن التفكيرية أو الانعكاسية مصير علم الاجتماع، لأنها تحمله إلى أقصى حدوده وهب ذاتها حدود النقد، وفي الحالة النقيض فإنه يلعب السلطة لمساهمته في ستر الحقائق والتدليس عليها. من المؤكد أننا نقف هنا على مرمى حجر أو نظر من نظرية هابرماس الموسومة" بالفعل التواصلي"، والتي يحركها نفس المهماز الفكري المتمثل في دور وسائل الاعلام المفترض في توسيع دائرة الديمقراطية وظهور مجتمع المخاطر.

وهنا تطرح المشكلة العظمى لمجتمعاتنا، وهي تعلم إدارة المخاطر أكثر منها الرغبة بالسيطرة على كل شيء، لأننا نعيش في عالم من "الارتدادية" المتزايدة، حيث تحصل العديد من المخاطر في كل وقت ولا نملك تجاهها خبرة تاريخية، فالاستبيانات حول سلوك الناخبين مثلا تساهم في تغيير استراتيجيات التصويت. والمؤشرات الاقتصادية حول مستوى النمو، حول مستويات البطالة–بتحريض أو نهي المنتجين على الاستثمار والمستهلكين على الاستهلاك–ترتد بفعلها إذن على النمو أو البطالة. إن المعارف التي تنتشر في المجتمع بخصوص السلوكيات الجنسية، تساهم بالمقابل في تعديل التصرفات الجنسية، ما الذي يجب قوله إذن إلى المواطن؟ إن كل ما تقوله، له عواقب على المخاطر بالذات. إن بث الخوف في نفس المواطن يعتبر إشكالية: في بعض الظروف يكون من الضروري بث الخوف. لكن إذا ما بثثت الخوف أمام كل تهديد، فإن المواطنين سيفقدون شيئا فشيئا قدرتهم على الاستجابة. هذه واحدة من المعضلات الجديدة للسياسات المعلنة والعمومية .

وهنا تبرز انعكاسية نظرية الهيكلية عند غدنز، التي تعتبر ملمحا رئيسا للعمل الاجتماعي، لأنها تقوم على معنى خاص في نظريته حول الحداثة، وفي ظل الظروف الناشئة من الانعكاسية الكلية WholesalcReflexivity، فإن كل شيء بما في ذلك الأفراد والمؤسسات يصبح منفتحا أمام الانعكاس والرقابة الذاتية، بما في الانعكاسية في حد ذاتها، ويتم تناول الممارسات الاجتماعية باستمرار، ويعاد تناولها في ضوء

المعلومات الداخلية وعمليات التقييم الذاتي. ويؤدي ذلك إلى أن يأخذ غدنز في اعتباره تحول الملامح الشخصية للوجود اليومي في الحداثة، وتدفع ضغوط العمل والحياة المنزلية الأفراد باتجاه إعادة البناء المستمرة للهويات الذاتية، باعتبارها جزءا من مشروع انعكاسي، وفي ظل هذا المشروع القائم على السيرة الذاتية، بصورة لا يمكن تفاديها، تتم الاختيارات الفردية في سياق مجموعة من المنحنيات والخيارات متولدة بواسطة نظم مجردة، وترتبط الحداثة بحدوث تحول في أسلوب الحياة، تحول في الحميمية التي تنتظم بها صلات الفرد الانعكاسية، وتتشكل باعتبارها علاقات صرفه ترتبط بالالتزام ومطالب لصالح الحميمية، وتتطور مثل هذه الثقة من خلال الإفصاح المتبادل فقط التي توجد خارج العلاقة ذاتها.

لتنسحب الانعكاسية الى مجال أوسع من زاوية تداعياتها الاجتماعية، فالشرعية لعلمية ليست وليد الصدفة بل هي بناء اجتماعي حسب أنتونيغدنز؛ التنشئة التي تستند للإنتاج العلي مكانة غير مشكوك فيها، مما ينجم عنه احتكام لأشكال التخصصات لاسيما التقنية منها، وترد نفس هذه النظر بشكل أكثر راديكالية علىلسان بيك عندما يصر على أن الخطر لم تعد الطبيعة، وإنما هو البحث العلمي بفعل أن استعمالات العلم الحديث، لم تعد سيطرة الانسان بل تنفلت منه. لتظهر بذلك الانعكاسية كثورة معرفية وعملية في آن معا، بوصفها تستجيب لتجاوز الإشكالية القديمة؛ الذاتي في مواجهة الموضوعي، والعكس تحت وطأة المناهج الكيفية منذ لحظات تلعثمها الأولي عن مدرسة شيكاغو، خالصة إلى الإقرار بوجود نسبية مطلقة تجعل الحقيقة العلمية تقاطع وجهتي نظر الباحث والمبحوث معا، ليكون أكبر إنجازاتها التوكيد على انتفاء وجود معرفة مطلقة، ولكن توجد تأويل ممكنة لفهم ممكن.

تبدو الانعكاسية كصيحة أخلاقية وديمقراطية؛ بدليل قول بورديوBordeaux" هناك ضرورة لإدمان الرؤيتين، الموضوعية والمنظوراتية بفضل عمل ينحو الى موضعةالموضعة، القيام بنظرية لأثر النظرية، تفرض نفسها لسبب أخر أساسي بلا شك، من وجهة النظر النظرية أو الأخلاقية والسياسية: البناء العلمي للفضاء الموضوعي للأعوان وللخواص الفاعلة، تنحو الى تعريض الادراك الشامل والغامض لفئة الأقوياء، لإدراك تحليليا وانعكاسيا يحطم إذن الغموض والضباب، وعدم الدقة والريبة التي تشكل التجربة العادية. إن فهم موضوعيا مجتمع المخاطر الذي نعيش فيه دون فهم منطق هذا الفهم، وما يفصله عن الفهم العملي، هو الامتناع عن فهم ما يجعل هذا العالم قابلا للعيش ومعاشا بسلام وأمان دون مخاطر.

حيث تعد الانعكاسية أساس تجاوز المخاطر، وتساعدنا لنفهم ماهية موضوع علم الاجتماع المخاطر، من خلال امتلاك القدرة على اتخاذ ذهنيا مسافات مع المخاطر وأن ندرك هذه المخاطر، أو نقوم حسب صياغة غدنز بالدخول في اشتباك إيجابي مع الخطر. ومن المهم أن هذا الوضع يوضح أيضا وجهة نظر غدنز عن ثنائية البناء، حيث يتسبب البناء في أحداث الفعل، كما يعزز الفعل أو يعيد إنتاج البناء الذي يحدث الفعل داخله .

3-معالم نظرية نوربرت الياسNorbert Elias :

إن أهم التوصيفات الطبيعة للعالم المعاصر؛ هو مجتمع المخاطر، وهي توصيفات جاءت من علم الاجتماع، لتكشف تفاصيل الحياة اليومية في معظم المجتمعات المعاصرة، عن أنه من الممكن أن نجد المخاطر، وما يمكن أن يترتب عليها من مخاطرة في مجالات عديدة؛ داخل المنزل، وفي أماكن العمل، وفي الشارع، وفي المجتمعات الراقية والمتخلفة...إلخ، ولعل أهم المخاطر التي يتحدث عنها نوبرت إلياس، نجد المخاطر الاجتماعية والنفسية ؛التي ترتبط بما يكمن في البنية الاجتماعية، من مصادر لإحداث ضرر للأفراد والجماعات الذين يعيشون في كنف هذه البنية، وما يتعرض له الانسان من خطر اجتماعي يتخلقداخل البناء الاجتماعي، ويكون الخطر الاجتماعي ناتجا عن عوامل داخلية عديدة، كالتحضر، الدولة،الكبت، المعاناة، عدم المساواة وانخفاض مستويات نوعية الحياة التي يعيشها الفاعل الاجتماعي وغيرها

حيث يؤكد الأسلوب التصويري المجازي الذي وصفت به مقاربة نوربرتإلياس ضمن علم اجتماع تصويري مجازيFigurational، أو علم اجتماع المعامل ProceccDocuologyالذي فضله كتسمية نتيجة المعالجة التي تتم بواسطتها العمليات التكوينية للكائنات البشرية، التي تشكلت في ظل علاقات التبعية المتبادلة والتي تخلق المعاناة والخضوع، و البناءات الاجتماعية التي يكونونها مع بعضهم بعضا، ذات الآليات الناشئة، والتي لا يمكن التقليل من شأنها، باعتبارها أفعالا أو دوافع فردية تنشأ من أفكار عدم اليقين، وانعدام الآمن أو المخاطرة.

إذ تشكل هذه الآليات الناشئة نمو، وتطور، ومسار حياة الأفراد، ويؤكد أن التصورات في حال سيولة وتحول دائم، وأن التحولات الطويلة المدى في التصورات الاجتماعية البشرية ،غير مخطط لها وغير منظورة في أغلب الأحوال، وينظر إلياس إلى تطور المعرفة على أنه يتم داخل مثل هذه التصورات ، التي تعتبربنية داخلية للأفراد، والتي تعيد تركيب بناه ارتكازا على الدلالة الاجتماعية التي يتجه إليها كبنية خارجية، والتي أنتجت فعل المخاطرة وأخرجته إلى الوجود، لأنها تتصل مباشرة بتكوينه عبر مسارات تاريخه، وإيديولوجية، وبنيته العميقة. ومن ورائها الجماعة الاجتماعية التي تحرك إرادتها المعبرة إما أمنا أو خطرا يتواجد في المجتمع.

وهذه البنى المرتبطة بعلاقات التبعية البينية التي تربط الافراد فيما بينهم، مشكلين تكوينيا يظهر بأحجام متفاوتة في أفعال تابعة بينيا ببعضها البعض، منفذة باستقلالية نسبية تمثل نقلة على الرقعة الاجتماعية وتثير بشكل لا مفر منه نقلة مضادة، يقوم بها عدد كبير من الافراد وسط نسيج متحرك متغير للعديد من التبعيات المتبادلة التي تربط الافراد بعضهم ببعض، وصولا الى العلاقات الدولية. وبهذا يحيل تصور الفرد الى أناس تابعين بعضهم لبعض، لكن بصيغة المفرد، ويحيل تصور المجتمع الى أناس تابعين بعضهم لبعض لكن بصيغة الجمع. مؤكدا ان ما يفرق بين هذه التكوينات هو طول سلاسل العلاقات المتبادلة التي تجمع الافراد وتعقيداتها ويكونون مرهونين بها.

وهذا ما بينه إلياس في كتابه "مجتمع البلاط société de cour، ومختلف الضغوطات التي يواجهها نبلاء البلاط في عهد لويس الرابع عشر، الذي لا يستطيع ان يفعل كل ما يحلو له وإن كان هامش فعله أكبر من هامش الفاعلين الأخرين في المجتمع الفرنسي آنذاك، ذلك لأنه هو أيضا حبيس شبكة من التبعيات البينية الخاصة بمجتمع البلاط، التي تقضي على راحته النفسية وحريته الشخصية وما ينعكس عليها من مخاطر. مفهوم التبعيات البينية ومفهوم هامش الفعل الملازم له يسلطان ضوء جديدا على موضوع دور نبلاء البلاط عبر التاريخ .

فنظر لفهم البلاط للنبالة، حيث تحدد الرتبة والمكانة وفقا لحجم الإنفاق، باعتباره نقيضا للفهم الاقتصادي للبرجوازية، حيث يخضع نمط الاستهلاك للدخل. وقدم تحليل مجتمع البلاط تصحيحا ملموسا لمناقشات ماكس فيبر العقلانية الأدواتية (Instrumental) والقيمة (Value Rationalty)، وكذا تعديل التناقض الثنائي البسيط لدى ماركس بين الإقطاع والرأسمالية، وكانت هذه التنظيرات محل اهتمام كتاب عملية التحضير الذي اعتمد

على ماركس Marx و مانهايمMannheim و فيبر Fiber وسيميل Simel، و فرويد Freud في تناول التحولات السيكولوجية والسلوكية بين الطبقات العليا العلمانية في الغرب، وأظهر أن هذه التنظيرات مرتبطة معا بعمليات تهدئة داخلية وتكوين الدولة، وتساءل كيف أن طبقات يعينها في الدول المتقدمة في غرب أوروبا، تفكر في نفسها على أنها متحضرة؟، وكيف يصبح ذلك معمما بوصفه دلالة على التفوق الغربي على الثقافات غير الغربية؟

هذا التفوق الغربي وما خلفه للعالم خلال السنوات القليلة الماضية من الأزمات الاقتصادية، التي أدت إلى الاضطرابات المالية، وخلقت العديد من المشاكل الاقتصادية، وأدت إلى اختلال الاقتصاد العالمي، وما ترتب على ذلك من فقدان الدخل، واضطرابات مجالات العمل والتوظيف، وكل هذا وغيره خلق حالة من انعدام الأمان وزعزعة الاستقرار الاجتماعي، سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات أو المجتمعات ليظهر مجتمع المخاطر، ولقد أكدت تقارير البنك الدولي أن الأزمة المالية العالمية، بداية من عام 2008م، أدت إلى أن تشهد عديد من بلدان العالم انخفاضا حاد في معدلات التنمية، وتفاقم المشكلات المرتبطة بندرة الوظائف وفقدان الدخل، وانتكاس الجهود الرامية إلى الحد من الفقر، ومع ارتفاع أسعار السلع، خاصة الغذاء، عام 2008م، تفجرت عديد من أعمال الشغب والاحتجاجات في أكثر من 12بلدا في إفريقيا وآسيا، وهو ما جسد السخط الشعبي، والشعور بالافتقار إلى الأمن وظهور المخاطر وسط المجتمع، وخلقهذا كله حالة من الاضطرابات السياسية واسعة النطاق. يضاف إلى ذلك؛ أن تنامي مستويات الفقر وغياب العدالة، وانعدام المساواة في الاجتماع الإنساني، تمثل- جميعها- تهديدات شاملة لأمن الإنسان ولحياته ولقدرته على الفعل، كما أن الفجوات الكبيرة بين الأمم الغنية والفقيرة، تحمل إمكانية الانفجار الاجتماعي، كما أن ترك الفقراء بلا أمل، من أكثر مصادر انعدام الأمن؛ لأن ذلك يمكن أن يؤدي إلى تقويض أسس الاجتماع الإنساني برمته وظهور مجتمع المخاطر.

الأمر الذي رصده إلياس ضمن تحولات بعيدة الأجل في الأساليب والقوانين السلوكية، وفي حدود التعارض بخصوص الوظائف الجسدية المادية، وهي مرتبطة كلها بعملية التحول الداخلي Internalization للقيود الاجتماعية، وتتبعت أعماله تأسيس إعادة مميزة متعلقة بتزايد قيود الأنا العليا Superego على الدوافع والمواجهات الفاعلة بما فيها السلوك العنيف والاجرامي، باعتباره جانيا مكملا لمجتمع البلاط، وأصبحت أساليب

الطبقة العليا وحساسيتها المؤثرة – من خلال عمليات التمييز والتقليد– معممة بوصفها نماذج للسلوك المهذب، وأصابها اللبس المنتظم من خلال طبقة Stratum أخرى. تعمل على السيطرة المتزايدة على الغرائز البدنية والوجدانية، والمتمثل في طبقة النبلاء والبرجوازية، حيث لم يعد الأمر متعلقا فقط بتطبيق قواعد اللياقة والحياء والتحاشي، وإنما بالوصول إلى الضبط الذاتي لكل واحد، خاصة فيما يتعلق بالاحتكاكات الجسدية والجنس والعنف.

ومع العلم أن سلوك التهذيب لا يختلط في تعميمه الأوسع مع تكاثر الممنوعات التي تمس الجنس والنظافة واللياقة واستخدام العنف. فهو ليس مجرد قانون إنه ثقافة أيضا، حيث يؤكد إلياس في كتاباته عن تطور آداب السلوك في جانبه الحديث، يتصف باستبطان متزايد للمعايير، مما يجعل الآليات الاجتماعية للمنع لا ضرورة لها. بالنسبة له، ليست الحضارة فقط مسألة لياقة في المجالس الرسمية، فهو يعلم جيدا أن هناك ممنوعات وطقوسا معقدة قد توجد عند شعوب تعتبر بدائية. فحركة الحضارة تسير عن طريق مبادئ كونية وتصيب وعي الفرد بالذات، باختصار لم يعد الأمر متعلقا فقط بقواعد السلوك، بل بمشاعر داخلية تولد إحساسا بالذنب وندما، وتعيد إنتاج نفسها بنفسها وتشبه الكبت عند فريد ، والتي من شأنها أن تخلق أخطار ومخاطر تهدد الفرد والجماعة والمجتمع ككل.

وذلك لأن التبعات البينية التي يعلق الأفراد بها لا تقوم بدور القيود الخارجية فقط، إنما تتدخل في صياغة البنى الداخلية لشخصهم. وبذلك ينخرط الفرد طوال حياته في عدد من شبكات العلاقات التي سبقته في الوجود كالأسرة وجماعة اجتماعية... والتي هي في الغالب منتجات تاريخية طويلة وهي تساهم في تكوين أشكال ميوله وفكره، وتكون كبصمة اجتماعية تمهر الشخصية، وهي منتج تكوينات عدة يتصرف الفرد في داخلها لتبدو كمظهر شامل، ولكنه متغير دائما يشكله الافراد .

حيث تسعى هذه التبعات البينية لتفادي الخطر والمخاطر عن طريق التهديد و العقاب، ويحرص الأفراد على عمليات ضبط النفس، ويسعون إلى المعاملة المتماثلة من خلال علاقاتهم بالآخرين، والعمل على توفير السياق المناسب لتفاعلاتهم الاجتماعية الآمنة والمستقرة، خاصة وأنه لو كان الفرد يعمل على أساس التهديد والتناقض مع الآخرين، والتفكير بشكل أسوء منهم؛ فإن الحياة سوف تبدو مستحيلة، ولا يعني هذا أنه لا توجد تهديدات، أو أن انعدام الأمن هو مجرد نتيجة لعمليات التنشئة الاجتماعية ومجمع البلاط،

لكن يعني أن الحياة الاجتماعية المستقرة، والسلوك السلمي، والعيش المشترك الآمن، والأمن الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، يرتبطون بعوامل أخرى غير فكرة تفادي الخطر والمخاطر

ورغم أن هذا التحول مبني وموجه؛ لكنه أعمى وغير مخطط له، ضمن تاريخ الوسائل التي يوليها إلياس مكانة مركزية في تشكيل الدولة والأصول الاجتماعية Sociogenesis للدول الاستبدادية، وعمل على إظهار كيف ان عملية التحول الداخلي للقيود والتحول الناتج في القوانين السلوكية؛ مرتبطة بالتحولات في تقسيم العمل، والتحولات الجغرافية، والتهدئة المجتمعية (Societal Pacification)، والتحضر، والنمو التجاري، والاقتصاد النقدي.

حيث يؤكد أن نمو الاقتصاد النقدي الحضري، يؤدي إلى تسهيل إنجاز السلطة المركزية في الدولة، واحتكار العنف كأحد أهم أنواع المخاطر التي تكلم عنها أولريش بيك، وكان تزايد استخدام مثل هذه الدوائر الاقتصادية قد أتاح المجال أمام تزايد الموارد العسكرية للنبلاء المحاربين، الذين كان مصدرهم الأساسي للسلطة الاقتصادية والعسكرية هو التحكم في الأرض. وأدى هذا إلى تغيير الطبقة المحاربة المستقلة سابقا إلى طبقة عليا تابعة للبلاط، ويسهل الهدوء الأكبر حجما التجارة والنمو الاقتصادي، الذي يؤدي بدوره إلى تأمين السلطة الاقتصادية والعسكرية لسلطة المركزية.

كما يؤدي إلى تزايد سلطة الطبقات الوسطى، وعندما تتعادل كل من السلطة المركزية، ويؤدي إلى تزايد سلطة الطبقات الوسطى، وعندما تتعادل كل من السلطة الارستقراطية المتدهورة، وسلطة الطبقة المتوسطة المتزايدة تقريبا، فإنه يمكن للأسر الحاكمة أن تطالب بـ السلطة المطلقة، وعادت هذه التطورات المنتظمة على نبلاء البلاط بمزيد من الأنماط المقيدة للسلوك، أخذت القيود الخارجية المرتبطة بعلاقات السلطة لتكوين الدولة في التحول داخليا، بصورة تدريجية، بوصفها قيودا ذاتية، مسببة تحولا مميزا في العادات وبناء الشخصية، التي تبحث عن كيفية استخدام الخطر للوصول إلى المزيد من الأمن والخير والسلامة، أو البحث عن التوازن بين الخيارات التي تحمل في طياتها الأمن والخطر.

كما يؤكد إلياس أن عمليات التحضير، ترتبط في أحد جوانبها بعمليات التحول الروتيني(Routinization)، التي تؤدي إلى مشاعر بالتفاهة الشعورية بين الناس، ونتيجة ذلك، قامت المؤسسات بتطوير

ما يؤدي وظيفة تفكيك التحول الروتيني من خلال الحركة، والقدرة الاجتماعية، ولإثارة، والتجديد وهو ما يضعنا أمام ملامح مشتركة لبعض الأنشطة الرفيعة، مثل الفنون، والانشطة الدنيا، مثل الرياضة، وجعل تحليله مواكبا للأحداث في مؤلفهThe Germans ، وكان اهتمامه المحوري ينصب على تطوير العادات الألمانية ودمجها مع مواصفات عسكرية، وكيف شكل ذلك أساسا مهما لإعلاء شأن النازية، وما جلبته من أخطار ومخاطر على العالم بأسره.

إن أفضل تقديم لأسلوبه النظري هو مؤلفه WhatisSociologt، حيث يعيد رأيه بوجوب أن يتفادى علماء الاجتماع معاملة الأفراد أو المجتمعات ككل، بوصفهم معطيات ثابتة وهذا – كما يرى إلياس– انعكاس للغة، وصياغة مفهومه غير ملائمة تقلل من العمليات التي تقوم بها الدول، كما يتطلب علم الاجتماع العلمي (Scientific Dociology) أن تحل رؤية قائمة على التعددية للناس العامة، بدلا من الرؤية الفردية المقربة (Closed Person view)، وهذا هو أساس الرؤية المتصلة للسلطة المرتبطة بوظائف الأفراد بعضهم ببعض، وهو اعتراف بأن سيكولوجية الأفراد وطريقة الرؤية تظهر من منطلقات تصويرية يكون فيها الفرد مشاركا.

لتظهر بهذا قدرة إلياس على المزج بين الأوصاف الجزئية، والأوصاف الكلية للعمليات الاجتماعية لتكوين المخاطر، وعلى تجاوز الانقسام الثنائي بين الفرد والمجتمع، وعلى المزج بين الرؤية النظرية العميقة والسعة المذهلة للبرهان التجريبي ،من خلال عمليات التفاعل والممارسات الواقعية، ونحتاج، هنا، إلى الربط والتكامل بين الأفراد وممارساتهم وأفعالهم في سياق حياتهم اليومية، ويتدفق هذا التكامل عبر عمليات التنشئة الاجتماعية الناجحة التي توفر الأساس لارتباطات أخرى، وغيرها من المؤسسات الاجتماعية الأخرى لإدارة المخاطر، وعلى تقديم وصف اجتماعي وتاريخي دقيق وثابت للعالم بمستويات عالية من الأمان والثقة